المعتصم بالله المؤمن

المفتّش ليث



...قُصاصةٌ دامية...

بسم اللّٰه الرّحمن الرّحيم

وبه نستعين

...قصاصة دامية...

تأليف:
المعتصم باللّٰه المؤمن

أعلنت الساعة الثانية عشر وانتصف النّهار بينما كان المفتّش يقضي بين اثنين متشاجرين من الشّرطة في مكتبه، وبعد أن خرجا أخيراً كان المفتّش غاضباً يمسك بأوراقه وهو يتمتم:
- كيف يحلّ أصحاب المشاكل مشاكل الناس؟؟!

وأخذ المساعد سامي يقلب الأوراق للمفتّش كي يوقّع عليها عندما سقطت ورقةٌ بحجم الإصبع على مكتب المفتّش الذي قال متململاً:
- ما هذه؟
- مجرّد قصاصة..
فالتقطها المساعد ورماها في القمامة عندما صاح المفتّش وعيناه تلمعان:
- بل هاتها!

فأسرع المساعد لالتقاطها من السلّة.. واحتاج المسكين وقتاً حتّى يجدها لصغر حجمها وناولها للمفتّش مترقّباً فائدة هذه الورقة التي كبّدته هذا العناء.. ولكنّ المفتّش نظر إليها وقلّبها في أقلّ من دقيقةٍ ثمّ قال وهو يلتفت:
- الآن ارمها!

فدكّها المساعد في جيبه مغتاظاً وأسرع ليكمل عمله في الأوراق.. وفي المساء عندما كان يريد تبديل ثيابه وجدها في جيبه فقلّبها وهو يتمتم:
- ما هو الشيء الذي جذب انتباهه في قصاصةٍ كهذه؟؟.. كأنّ شيئاً مكتوباً عليها..

وأخذ المساعد يحدّق محاولاً أن يلاحق آثاراً بدت له آثار قلمٍ باهتةٍ على القصاصة الصّغيرة.. وفي النّهاية نفض رأسه وقد آلمته عيناه، فأسرع يلتقط المكبّرة من درج مكتبه، وبعد دقائق صاح:
- يا لهذا المفتّش الخارق!.. أيعقل أنّه لاحظ وجود هذه العلامات في تلك الوهلة من الزّمن؟؟.. أظنّه قلمٌ مخفيّ..

ونهض ليحضر كشاف الأشعة فوق البنفسجيّة ليستخرج المكتوب وبالفعل بدا له بالمكبرة:
إذا رغبت برؤية مظلومٍ فإنّه بجوارك تماماً
فصاح المساعد:
- ويعقل أنّه قرأها أيضاً؟!.. مستحيل!.. سأفاجئه غداً بهذا الخبر!.. ولكن من هذا صاحب هذه الرسالة الخفيّة التي كان من الممكن ألّا يلاحظها أحد؟!

وابتسم المساعد ثمّ تمتم:
- أجل.. كان من الممكن أن تبقى قضيّته في طيّ الكتمان لولا

أنّي أنقذته في آخر لحظة!

وفي الصّباح جلس المساعد ينتظر المفتّش بفارغ الصّبر.. لقد شعر أنّ السّاعة كانت بطيئةً جدّاً وهو ينتظره ليشهر بطولته بهذه الورقة التي التقطها البارحة من القمامة مرغماً!

وأخيراً دخل المفتّش مبتسماً كعادته وجلس على مكتبه وهو يفكّر بشيءٍ ما عندما قال المساعد نافخاً صدره:
- سيّدي.. لديّ أمرٌ هامٌّ أطلعك عليه..
- تكلّم..

وأبرز المساعد ورقته بينما ارتسم الاستغراب على وجه المفتّش واضحاً وهو يقول:
- لاحظتَها؟!
- نعم.. أ.. أقصد.. كشفت سرها بكشّاف الأشعة فوق البنفسجيّة.. من كان يظنّ أنّها رسالة استغاثة؟!
- ولكنّها مبهمةٌ جدّاً ومختصرة..
- مختصرة؟!.. تقصد.. أنّك قرأتها؟
فابتسم المفتّش وقال:
- ولم لا أفعل؟!
- ي.. يعني.. كانت معاينتك لها سريعةً جدّاً.. كما أنّ الخطّ الصّغير كان مخفيّاً!
- نعم.. ولذلك وجّهت الورقة عكس أشعة الشّمس المنبعثة من النّافذة فتمكنت من قراءة الجملة في ثوانٍ!

فجمد المساعد مبهوتاً وقد سُلب بريق عينيه وعاد صدره إلى مكانه قبل أن ينتفخ!.. وطأطأ قبل أن يقول بصوتٍ منخفض:
- وما كان تحليلك لها يا سيّدي؟

ثمّ أردف منفعلاً:
- أو.. أو.. ربّما كنت قد أنهيت القضيّة ونسيتها أصلاً.. صحيح؟!

فضحك المفتّش وقال:
- للأسف.. حتّى ظنّك هذا ليس صحيحاً أيّها المساعد!
- وإذاً هل عرفت من هو؟
- إيييه.. إنّه بجواري!
- آآآ.. أنا؟

فضرب المفتّش وجهه وقال:
- وهل هذه الجملة لكلّ لحظات حياتي؟.. وقتما أذكرها تكون لمن هو بجواري؟!
فابتسم المساعد بينما أردف المفتّش:
- على أيّة حالٍ، قد لا يكون هناك فائدةٌ من معرفة هويّة الكاتب.. فربّما هو يحاول أن يلمّح إلى وجود قضيّةٍ قد لا يكون صاحبها ولكنّه يعرف عنها ويشعر بالذّنب حيال صاحبها الذي يعرف أنّه مظلوم ..
- وما العمل؟
- تأخّرت قليلاً لأنّي كنت أزور المحتجزين وأراجع قضاياهم..

- ربّما كان صاحب القضيّة هو أحد الشّرطة وهو لا يتكلّم من أجل منصبه أو.... ربّما!
- هذا احتمالٌ رئيسيّ.. ولكن هناك العديد أيضاً؛ كعمّال النّظافة أو المحتجزين أو أحد أهاليهم أو ربّما ليس هنا في المكتب بل أحد جيراني أنا أو....

وضرب المفتّش المكتب بقبضته وهو يفكّر ناظراً إلى السّقف:
- وربّما كان صاحب هذه الرّسالة يقصد تضليلي لأتساهل في قضيّةٍ ما..
- أو شغلك بأمرٍ صعبٍ لا طائل منه لينفّذ ما يريد..
- ممكن!.. وربّما لا!

وابتسم المفتّش مستعملاً حاسوبه وقال:
- أترى كيف كنت سترمي قضيّةً صعبةً باحتمالاتها التي لا حصر لها في سلّة القمامة في لحظة؟!.. دعها للمساء ودعنا نركّز على عملنا الآن..

ومرّ الوقت والمساعد يعمل ويختلس النّظرات إلى المفتّش الذي كان واضعاً خدّه هلى يده ساهماً بدلاً من أن يعمل على حاسوبه!

وفجأةً انتفض المفتّش وخشخشت المفاتيح في يده وهو يفتح دروج مكتبه ويفتّش الواحد تلو الآخر.. واستغرق الأمر ربع ساعةٍ قبل أن يفتح الدّرج الأخير ويخرج منه صورةً ويضعها

على مكتبه في وسط الفوضى المفاجئة!

وأخذ المفتّش يحدّق بالصّورة بينما المساعد يحدّق به والفضول يأكله ليعرف صاحبها.. وبعد أن انتهى الفضول من أكل المساعد انتقل ليأكل المفتّش الذي ضرب الصّورة على المكتب متحفّزاً وقال:
- من هذا؟؟

وهنا وقف المساعد قائلاً:
- في خدمتك يا سيّدي.. ماذا قلت؟
- أقول يا صاحب الفضول: هل تعرف صاحب هذه الصّورة ؟

وأدار المفتّش الصّورة للمساعد الذي قال فوراً:
- هذا أبو فؤاد عامل النّظافة في الحيّ الذي أسكن فيه!.. ولكن ما الذي جعلك تظنّ أنّ صاحب هذه الصّورة هو المقصود؟

- إنّ الرّسالة كانت على مكتبي ولذا فكّرت ما الذي يكون بجواري دائماً وأنا جالسٌ على مكتبي، وبما أنّ النّاس يتحرّكون دائماً، خطر لي أنّها قد تكون إشارةً للشّخص وليس الشّخص بحدّ ذاته.. وهنا وجدتّ هذه الصّورة، ومع ذلك لست متأكّداً من صحّة هذا..

- ألم يكن درجك مقفلاً يا سيّدي؟!.. إذاً أنت من وضع هذه الصّورة هنا!

- كلّا.. أنا لا أعرفها أصلاً ولم أضعها، لا بدّ أنّ الفاعل حشرها من أعلى الدّرج بين القفل وجدار الدّرج ووضع هذه القصاصة هنا ليشير إلى ذلك..

وقلب المفتّش الصّورة يمنةً ويسرةً ثمّ قال:
- الآن هات كشّاف الأشعة فوق البنفسجيّة فهذه الصورة سميكة، ولن تنفع معها أشعة الشّمس...

ولكن لم يجدا عليها شيئاً ففكّر المفتّش قليلاً ثمّ قال:
- اذهب إلى أبي فؤاد هذا واستطلع الخبر..
- أمرك، سيّدي..

وبالفعل انطلق المساعد باحثاً عن أبي فؤاد العجوز عامل النّظافة فوجده -بشعره الأبيض وبذلته المهترئة- يجمع بعض الزّجاج المكسور بمكنسته القديمة التي بدت أحد الخرداوات، فحيّاه وسأله فيما إذا كانت له مظلمة..
فقال له:
- كثّر اللّه من أمثالكم يا حضرة المساعد.. في الواقع.. بما أنّك ذكرت الأمر .. فهناك من أرسل لي رسالةً غريبةً لم أفهم لها معنى..
- هلّا أريتني إيّاها؟
- ليست ورقاً.. إنّه شيء..
- مثل ماذا؟
- إنّه قطعة تك... الـ.. إلكترونية.. صغيرةٌ جدّاً.. هكذا.. لولا أنّي

ابني قال لي أنّها كذلك لكنت رميتها مع القمامة......
- وهل ستريني إيّاها؟؟
- نعم.. نعم.. إنّها في البيت.. لحظة، لحظة..

ووقف المساعد يمسح عرقه وينتظر العجوز الذي أطال وأطال..
وأخيراً خرج العجوز وهو يضحك ويقول:
- تخيّل.. كانت زوجتي قد رمتها في سلّة القمامة.. ولكن حتّى في بيتي كان عليّ أن أفرغ سلّة القمامة وأبحث فيها.. ها ها ها!!

فأجاب المساعد ببرودٍ:
- هاهاها.. إذاً سأعلمك بالنّتيجة إن شاء الله..
وانطلق المساعد وهو يهمس في نفسه:
- وأخيراً حصلت عليها بعد أن دفعت ثمنها من عرقي غالياً!

وما إن وصل المساعد حتّى وصل المفتّش البطاقة (الكارد) بجوّاله ورأى أمامه صورةً مقزّزةً تثير الحيرة.. فصاح المساعد:
- بم نفسّر هذا يا حضرة المفتّش؟!
- نفسّره بأنّ أحدهم يحاول أن يستدرجني ولذا.. سأستدرجه!
- وكيف؟
- هذا ما لا يخصّك.. أكمل عملك أيّها المساعد..

وجلس المساعد ممتعضاً ينظر في الشّكاوي، والشّكاوي تشكو أنّه لا يفكّر بها!.. كان دماغه محصوراً بتلك الصّورة وتلك الخطّة الغريبة التي هي أشبه بخريطة الكنز..

ترى لو استمرّ في تتبّع هذه الآثار فإلى أين سيصل؟!.. سيصل بلا شكٍّ إلى صاحبها ويمسك به.. أجل سيكون ذكيّاً وسيتبعها بحذرٍ ولن يقع في الفخّ.. وإذاً عليه أن يفهم ماذا تعني هذه الصّورة الغريبة..

ثلاثة صحون وملعقتين وثلاثة غربان ميّتة؟!!... ماذا يعني هذا؟.. وفكّر المساعد:
- الصّحون والمعالق هي دائماً رمز المطاعم.. لعلّه يقصد ثلاثة مطاعم، ولكن لم ملعقتين وليس ثلاثة؟!.. هذا اللّغز أشبه باللّعب الإلكترونيّة.. وهو يحفّز فيّ روح التّحدي!!

وفجأةً:
- أيّها المساعد!!
- حاضر يا سيّدي!
- ما هذا الشّرود؟!.. إيّاك أن تكون تفكّر بتلك الصّورة.. انسَ أمر ذلك الفخّ..
- لا تقلق يا سيّدي.. لا تقلق!
- يغلب على ظنّي أنّني سأقلق..

وأخيراً انتهى الدّوام.. واستطاع المساعد أن يفكّر على راحته ويبدأ استكشافاته.. وفكّر المساعد:
- والآن وقد تخلّصت من سلطان المفتّش، فمن أين سأبدأ يا إلهي؟!.. حسناً سأبدأ من عند أبي فؤاد بما أنّ الدّليل بدأ من

عنده!

وفعلاً وقف المساعد عند بيت أبي فؤاد يبحث عن المطاعم على خريطة المدينة على جوّاله.. وتمتم بعد دقائق:
- واحد.. اثنان.. ثلاثة.. لكن هناك مطعمان بعد المطعم الثّاني، فأيّهما هو الثّالث؟

وبدأ المساعد يمشي مسرعاً وهو يقول:
- فهمت.. المعلقتان تعنيان أنّه الخيار الثّاني.. فهمت!.. لا بدّ أن أفهم معنى الغربان الثّلاثة عندما أصل!

وما هي إلّا دقائق قبل أن يصل المساعد المتحمّس إلى المطعم ويقرأ:
- مطعم "عشّ الطّير".. آآآ.. الغربان هي من الطّيور.. أنا على الطّريق الصّحيح!.. سيذهل المفتّش لهذا النّجاح!

ودخل المساعد المطعم نافخاً صدره وأخذ يبحث عن أيّ دليلٍ يكون الغربان الثّلاثة.. وهنا سمع صوتاً:
- هل من خدمة يا سيّدي؟
- آآ.. ماذا تقدّمون؟
- لدينا بيتزا إيطاليّة وبيتزا فر....
- نعم.. نعم.. أريد بيتزا.. بسرعةٍ لو سمحت!
- على الفور!

وانطلق النّادل بينما انطلق المساعد بعينيه يفحص المكان، وتقدّم قليلاً إلى المطبخ ونظر من شقّ الباب.. وهناك وجد ثلاثة طبّاخين يعملون على تحضير الطّعام، فدفع الباب فوراً واقتحم المكان، والتقت عيناه بأعين الطّبّاخين الذين بدت وجوههم صفراء كالأموات...

بعد طول رنينٍ في وسط اللّيل، ردّ المفتّش بصوتٍ نائم:
- السّلام عليكم..
- وعليكم السلام.. أنا زوجة المساعد سامي.. حضرتك المفتّش؟
- نعم.. لم يعد المساعد إلى البيت.. صحيح؟
- نعم.. إذاً هو في العمل.. ولكنّ هاتفه مقفل؟
- ربّما نفد شحنه.. إنّه في أمرٍ مهم.. ربّما يعود بعد أيّامٍ إن شاء اللّه.. لا تقلقي!
- حسناً.. أشكر جهودك يا حضرة المفتّش.. ولكن أعلموني على الأقل حين يناوب..
- معك حقّ.. ربّما في المستقبل!.. سأرسله إليكم حين تتأتّى الفرصة إن شاء اللّه..

وأقفل المفتّش الخطّ وارتمت يده على السّرير وهو يتمتم:
- لا تقلقي يعني أجّلي القلق فقط!
ونهض يتثائب وهو يفتح جوّاله ويقول:
- إنّ الغرور أنفع فخٍّ للإنسان.. ولكن، بعض الاحتياط كان في مكانه والحمد للّه!
إذاً آخر إشارةٍ لهاتفه كانت من مطعم عشّ الطّير.. لقد دمّر هذا

المساعد المعاند الخطّة أ ووضعني على المحكّ واضطّرني إلى استعمال الخطّة ب..

ونظر المفتّش إلى السّاعة قائلاً بذبول:
- يا إلهي،لا زالت السّاعة الواحدة صباحاً!.. هكذا هو ثمن أن يكون المرأ رئيساً؛ عليه أن يدفع ثمن أخطاء مرؤوسيه.. ترى هل يجد دور الطُّعم مسلّياً إلى هذه الدّرجة؟!

ونهض المفتّش وبدّل ثيابه وانطلق ليأخذ الإذن التّقليديّ في تفتيش المطعم مع أنّه كان واثقاً من أنّ هذا لن يجدي نفعاً.. كان يريد شيئاً آخرا!

ووصل المفتّش مع عدّة رجال إلى هناك، واضطرّ صاحب المطعم إلى فتحه وانطلق الرّجال يفتّشون، بينما كان المفتّش يبحث عن شيءٍ آخر ويطوف في المكان بخطواتٍ غريبةٍ حاملاً جوّاله المتطوّر..

وأخيراً عاد الرّجال خائبين، وغادر المفتّش يخطف اللّمحات من وجه صاحب المطعم الممتعض، ودخل مكتبه على أذان الفجر وجلس على ضوءٍ خافتٍ يعيد ترتيب أفكاره:
- كيف دخل المتطفّل إلى مكتبي دون أن يظهر في كاميرات المراقبة؟!.. أو أنّه دخل بالفعل دون أن يلفت نظرنا إلى دخوله..

وأخذ يعيد تسجيلات الكاميرا المسرّعة الواحد تلو الآخر وأخيراً

دفع هاتفه وأخذ يفرّك وجهه النّعس.. وفجأةً انتفض مخرجاً الصّورة وأخذ يتأمّلها ثمّ قال:
- تذكّرت.. هذه الصّورة.. أجل!

وضحك على نفسه ثمّ أردف:
- أنا من وضعها في الدّرج منذ شهرين عندما اقترح عليّ عامل نظافة مكتبنا أن نحضر هذا الرّجل لمساعدته في العمل!

إذاً لن أجد شخصاً يتعامل مع دروج مكتبي في التّسجيل.. وبالتّالي أظنّ أنّ الفاعل كان يعرف سلفاً أنّ الصّورة موجودةٌ في مكتبي ولذا خطرت له فكرة القصاصة والخطّة أصلاً..

وأخذ المفتّش يقلّب التّسجيلات بحرصٍ مدقّقاً على أيدي الدّاخلين حتّى صاح فجأة:
- الخبيثان.. كانت تمثيليّة!!

وضرب يديه قائلاً:
- فعلاً!.. كانت نظرات الشّرطيّ كميل مشبوهاً بها ولكنّ تصرّفات زميله كانت عفويّة، ولذا ظننت أنّ نظرات كميل كانت ضدّ زميله لا ضدّي أنا!

لقد تشاجر مع زميله البريء ليدسّ لي هذه القصاصة وقد كان رآني سابقاً وأنا أضع الصّورة في الدّرج، إذاً كميل -الشّرطيّ البسيط- يعمل لصالح عصابةٍ ما أو لصالح رئيس شرطةٍ يريد

التّخلّص منّي.. هذا يضفي على القضيّة لمسةً أخرى!

وفجأةً طنّ جوّال المفتّش فالتقطه متحمّساً وهو يقول:
- الشّكر لك يا ربّ.. الخطّة ب إلى التّنفيذ!

وبدا صوت طنين الرّادار على الجوّال واضحاً مع نقطة انتقالٍ سريعةً تعبر شوارع المدينة فانتفض المفتّش مرسلاً إلى رجاله وهو يقول:
- ابتلع 'صيّاد المغرورين' المغرور الطّعمَ، والآن خاف منّي ولذا قرر أن يهرب بطعمه بسرعةٍ قبل أن أسحب صنّارتي، ولكن هيهات!

وخلال دقائق كانت سيّارة الشّرطة تقطع الشّوارع بهدوءٍ على بدايات أشعّة الشّمس تلحق تلك الإشارة، ولكن فجأةً اختفت الإشارة دون أن تترك أيّ أثر، لقد دخلوا نطاق التّشويش.. ولم يستطع المفتّش أن يحدّد الغرفة الذي سجن فيه المساعد بين كلّ تلك الأبنية والطّوابق، ولكنّه علّق هامساً:
- سنكون جدّاً محظوظين إذا استطاع سامي أن يدخل الحمّام..

ولم يستطع رجال الشّرطة أن يكتموا ضحكتهم بينما رمقهم المفتّش وقال:
- كما يقول المثل: شرّ البليّة ما يضحك..
ومضى المفتّش مبتسماً يستطلع المكان ووقف عند أحد أغطية مجاري الصّرف الصّحي، ثمّ عاد أدراجه متجهّماً وهو يعلن فشله

ثمّ عادوا إلى القسم على نسيم الصّبح النّقيّ.. ودخل المفتّش مكتبه الذي بدا غريباً دون المساعد سامي الذي اعتاد على أن يجده ينتظره صبح كلّ يوم!

وجلس المفتّش مسنداً رأسه إلى يده يوقّع بعض الأوراق متظاهراً بالإحباط.. ومضت السّاعات عليه وهو يعمل قبل أن يطنّ جوّاله فجأةً فانتفض هامساً:
- يا إلهي.. وفّقني!

والتقط هاتفه وأغراضه وخرج من خلف مكتبه عندما وجد نفسه يهوي إلى الأرض وطار جوّاله من يده واصطدم بالجدار وسقط بجواره..

ونهض بعد دقيقةٍ من الألم في قدمه التي تعثّرت، يعيد تشغيل جوّاله وهو يهمس:
- يا إلهي.. ظننتك ستوفّقني!.. لحسن حظّي أنّ الإشارة لا زالت قويّة....

وفجأةً صاح هامساً:
- يا لغبائي.. كدتّ أقع في الفّخ!
وقال في نفسه:
- كيف لم أنتبه إلى هذا؟!.. هذه الإشارة من جوّال سامي لا من جهاز الإرسال الذي أنتظره.. طعمٌ يحاولون به استدراجي، ولكن اصبروا قليلاً!

وعاد إلى كرسيّه وهو يهمس:
- اغفر لي يا إلهي.. لم أكن أدري أنّك توفّقني!

وبعد مضيّ ساعةٍ طنّ جوّال المفتّش ثانيةً.. واحد.. اثنان..
وسكت، فعلّق المفتّش:
- هذا -والله- عين الطّلب!

واختار ثلاثة رجالٍ وانطلقوا إلى البناء الذي جاءت بقربه الإشارة وصعدوا درج البناء الواحد تلو الآخر والمفتّش يحدّق بجوّاله وفجأةً وقف قائلاً:
- لا!.. لننزل!

ونزلوا ثانيةً حتّى نزلوا في درج القبو، وما هي إلّا ثوانٍ حتّى طنّ جوّال المفتّش طنّةً خفيفةً أمام أحد الأبواب، وهنا اقتحم الرّجال الشّقّة بأمرٍ من المفتّش، ولكنّهم بحثوا عن الرّجال بلا جدوى..

وأخيراً أطفؤوا جهاز التّشويش، فطنّ جوّال المفتّش بقوّةٍ مشيراً إلى الحمّام فعلّق أحد رجال الشّرطة:
- إذاً.. لم تكن تمزح يا سيّدي حين ذكرت الحمّام؟!
- في الواقع.. كنت آمل أن يدخل الحمّام.. لكن لم أتخيّل أن يتحقّق أملي إلى درجة أن يكون الحمّام هو سجنه!

وحين فتحوا الحمّام كان مصبوغاً بالأحمر وفي وسطه وجدوا..
وجدوا المساعد سامي ولكن...
فصرخ المفتّش:
- اتّصلوا بالإسعاف فوراً ليضمّدوا جراح هذا المسكين ويزوّدوه بالدّم..
فاتّصل أحدهم بينما تقدّم الآخر ليسعفه عندما صاح:
- سيّدي.. إنّه مقتول!
- مقتول؟!.. يا إلهي!!

وركض المفتّش ليعاينه ويجسّ نبضه ثمّ صاح:
- أسرعوا أحضروا الإسعاف.. قلبه بالكاد ينبض!

فركض أحد الرّجال ليعجّل بإحضار الإسعاف بينما حاول المفتّش أن يسعف سامي ويشدّ جراحه عندما...

عندما سمع صوت ضربةٍ وشعر بأحد رجلَي الشّرطة الاثنين يسقط أرضاً فالتفت عندما شعر بيدين تشدّان رقبته بقوّةٍ من الخلف وصوتٍ يقول:
- آسف أيّها المفتّش.. لكنّ سامي يجب أن ينتهي وأنت معه!

ولكن المفتّش ترك نفسه ينسحب مع ساحبه كي لا تنكسر رقبته وعاجله برمية سكينٍ إلى الوراء، وحاول المهاجم أن يتلافاها ولكنّ نصلها ضرب وجهه فتحوّل تركيزه عن يديه لثوانٍ من فرط الألم في وجهه؛ فاستطاع المفتّش أن يتخلّص من يدي

مهاجمه بخبرةٍ وشقّ الأنفس..

وحين كان ينبغي أن يلتقط أنفاسه وهو على الأرض، وجد نفسه يتصارع مع مهاجمه الذي حاول أن يطعنه مراراً ولكنّ المفتّش -وهو يسعل- استطاع أن يتدارك بعض الطّعنات وأن يصدّ الآخرين بالقميص المصفّح الذي كان يرتديه..

وأخيراً استغلّ طعنةً فاشلةً، وأمسك يد مهاجمه ذات السّكين وسحبه للأسفل وتصارعا على الأرض حتّى لواه المفتّش وضرب رأسه بالجدار ففقد وعيه وقيّده وهو يقول له غاضباً بأنفاسٍ متسارعةٍ:
- تحسب -يا صافي- أنّ التّدريبات التي مررت بها لم أمرّ بها أنا -وأكثر- وأنا رئيسك؟!

ثمّ سارع إلى شدّ جراح سامي حتّى يخفّف من النّزيف وهو يردف:
- لقد فقد صوابه حين شعر بخطر عودة سامي إلى الحياة!

وخلال دقيقتين ظهر صوت سيّارة الإسعاف، فحملوا الرّجلين الجريحين ومضوا، بينما أخذ المفتّش يحمد الله على السّلامة ويفتّش المكان وجوّال صافي؛ فقد استعار المفتّش أصبع صافي قليلاً ليفتح قفله ببصمته.. وما هي إلّا ثوانٍ حتّى علّق:

- كما توقّعت؛ صافي هو من راسل العصابة ليهربوا قبل أن نصل

وحاولوا أن يقتلوا سامي كي يتخلّصوا منه ولا يضطرّوا إلى حمله وخاصّةً وقد عرفوا أنّه يحوي جهاز إرسالٍ بين أحشاءه!

ثمّ أردف متهكّماً:
- مسكينٌ يا صافي.. لقد ذهب كلّ جهدك هباءً؛ فبدل أن تدفع الخطر المحدق برئيسك، سحبته إليه حتّى فجحت به رأسه!..
فها قد عرف المفتّش ليث رقم أحد أفراد العصابة ومنه إلى هويّة صاحبه، وإلى ال 'ID' (رقم الجهاز الخاص به كمنتج) و ال'GPS' (الموقع الجغرافي) الخاصّ به.. وأخيراً إلى القبض عليه يا رجال!

وفي اليوم التّالي، زار المفتّشُ المساعدَ في المشفى وقد كان استعاد وعيه بعد أن أمدّوه بأكياسٍ من الدّم وجلس في السّرير، فجلس المفتّش على الكرسيّ المقابل بينما كان المساعد يحاول أن يشكره بلسانٍ مرهقٍ، وأخيراً قال:
- سؤالٌ واحدٌ يا سيّدي!.. كيف وصل جهازا الإرسال إلى جوفي؟!

فابتسم المفتّش وقال:
- ألم يعجبك طعمهما في بداية غداءك ونهايته؟.. لقد عرفت أنّك عنيدٌ ولذا كان عليّ أن أتصرّف!
- ولم اثنان وليس واحد؟
- من أجل الزّمن؛ فأنا لا أدري متى سوف تقع في الفخّ.. وقد طلبت من أحد عمّال النّظافة أن يركّز مضخّم إشارةٍ في المجاري المجاورة هناك.. ولذا استطعت أن ألتقط إشارةً خفيفةً

كانت كافيةً لتحديد الموقع عندما مرّ جهاز الإرسال في المجاري هناك، وقد خرج من نطاق التّشويش في الشّقّة!

- لقد جنّ جنونهم فكثّفوا أجهزة التّشويش وكادوا يقتلونني ليستخرجوهما منّي وأخيراً جعلوني أشرب الكثير من الماء.. ولكن.. سؤالٌ أخيرٌ يا سيّدي!.. كيف جزمت أنّه كان فخّاً من الوهلة الأولى؟؟
فابتسم المفتّش مغضباً ورمقه شزراً ثمّ قال:
- بل الغريب هو كيف لم تجزم أنت بذلك؟!.. ولكنّ الغرور أعماك، ولذلك سمّيتُ المجرم: 'صيّاد المغرورين' إذ صادك بغرورك.. ألم ترَ أنّه كان من الممكن أن يكتبوا لي اسم المظلوم المزعوم على القصاصة فوراً بدلاً من كلّ هذا؟!

ومع ذلك ظننت أنّ الإشارة إلى صورة أبي فؤاد قد يكون لها سببٌ توضيحيّ، ولكن عندما رأينا تلك الصّورة المقزّزة جزمت فوراً أنّها لعبةٌ ليستغلّوا غرور الضّحيّة؛ إذ أنّ الهدف نبيلٌ والحلّ بسيطٌ بحيث يورث لذّةً في الدّماغ الذي يستلذّ النّجاح المتوسّط الصّعوبة كما أثبتت الدّراسات!

وشحذ المفتّش صوته ثمّ قال مبتسماً:
- الحمد للّه قبضنا عليهم جميعاً بما فيهم كميل الذي كان يطمح للتّخلّص منّي ومنك لكي يترقّوا فيحلّ صافي مكاني وكميل مكانك كي ينفّذوا مآرب عصابتهم، وستتمّ محاكمتهم يوم الإثنين إن شاء اللّه..

فسكت المفتّش قليلاً ثمّ قال:
- ولكن لم لم يقتلوك منذ البداية ما داموا سيفعلون في النّهاية؟
- لأنّهم كانوا يستجوبونني على بعض المعلومات المهمّة في أمر كذا وكذا، ولكنّك أثرت ثائرتهم حين داهمت المطعم فأصبح الفرار شغلهم الشّاغل حتّى يئسوا في النّهاية حين أخبرهم صافي أنّك قادمٌ إليهم فقرّروا التّخلّص منّي كي لا أفضحهم..

- حسناً، والآن بعد 'الحمد للّه على عودتك إلى الحياة'.. أيّ نوعٍ من العقاب تحبّ أن أنزله بك بعد عنادك الأخير؟.. تكسير رتبة أم أحيلك إلى القضاء العسكريّ؟!

فصمت المساعد منكسراً بينما قال المفتّش:
- حسناً، من الممكن أن أغفر لك بشرطٍ واحد!
- شرطك مطاعٌ يا سيّدي!
- أن تضع الصّورة المقزّزة كصورة خلفيّة لجوّالك طيلة فترة خدمتك في الشّرطة!

فأجاب المساعد بعد أن تنفّس الصّعداء:
- سمعاً وطاعةً يا سيّدي الكريم!!.. مع أنّي أؤكّد لك -يا سيّدي- أنّي لست بحاجةٍ إلى التّذكير فأنا لن أنسَ نتيجة ما حدث بعد كلّ هذه الجروح والآلام!
فضحك المفتّش وقال:
- إنّها على الأقلّ نقطةٌ لصالح أهلك؛ إذ أنّه سيضمن أنّك لن تنشغل بجوّالك فترة الطّعام وما قارب؛ إذ كنت ترغب

بالاحتفاظ بشهيّتك!

تمّت بفضل الله العظيم...

